كبش الفداء

قصة بقلم يزيد الأمير

ـ أيهما أصعب : انتظار المصيبة أم حدوثها ؟

ـ ولكننا لم نفكر في حدوث مصيبة ، وعلى أساس هذا لم نكن ننتظرها .

وعادت الى الأمس ، الأمس القريب ، حين لم تفكر ولا لحظه واحده في امكانيه الفشل . « النصر كان مدنا نشد عليه بايدينا ونحن نسمع رعد الاناشيد الوطنيه والنشرات المتواليه بدقر عدد الطائرات التي اسقطنا وعدد الاسرى الذي نبلنا » .

وعادت الى سمعها اسماء الات القتال الحربية . كانت اسماء جديده لتيره لم تسمع بها من قبل ، ولكن جرسها كان يولد معنى القوه والبطش والتحطيم .

وعاد الصوت ينادي :

« اضرب لاجل الربيع
اضرب لاجل الجميع
اضرب لاجل الحياه
ولاجل عشاق الحياة »

لقد ضربنا بآلات من كل الاحجام والانواع وضربنا بجيشنا الكبير الموحد وضربنا بمعنوياتنا القويه وضربنا بالايدي والاسنان .

فاين هي الحياة ؟ واين هم عشاقها ؟ ومظاهر الربيع ؟ وضربنا ، كم طال ؟ وكم صمد ؟ ومتى سنعاوده لاجل عودة الربيع وعودة الحياة ؟

والتقت عيناها بعينيه ، وقرأ كل منهما في نظرات الاخر الحديث الذي يعملان بكل قوتهما للبوح به والذي يسعيان بكل قوتهما لاسكاته .

سمعته : ـ عمال مرفأ في ايطاليا يرفضون شحن باخرة تتوجه الى اسرائيل . الصومال تريد ارسال متطوعين . هذه العواطف المتفرقة أسكرتنا فظننا ان الرأي العام العالمي معنا . لم تجهر دولة واحدة بوقوفها مع اسرائيل فصدقناهم ... ومع كل هذا ، فكيف حدث ما حدث ؟؟

معنوياتنا ؟ لم يكن أقوى منها . استعدادنا الحربي؟ نعد له منذ خمس عشرة سنة . حكوماتنا تتجاوب مع الشعب العربي . الاخلاص ، الحماسة ، الشعور بالمسؤولية ... كل شيء كان فينا فماذا جرى لنا ؟

كانت عيناه تلمعان بحماسة غريبة وتتطلعان الى لا شيء ، فلم تدر الى من يوجه حديثه . فهو لم يحدثها أحاديثهما اليومية الطويلة منذ ابتداء الحرب . أصبح يكتفي بالسؤال عن صحتها ويسألها ان كانت تحتاج شيئا وتكتفي هي بشكره ثم ينقطع الحديث .

لم تجبه . وفتشت عن رعشة الحنان في نظراته وطال تطلعها قبل أن تقول : « لم أعهد عينيك قاسيتين هكذا . لا أدري لم تخنق الحنان فيها ولا تترك لفيضه حق الانسكاب » .

فهز رأسه وأدار وجهه : « يجب أن ننسى الحنان. يجب ان نتعود القسوة والبطش والعنف عمليا ، لم يعد للرحمة مكان عندنا ولا للعواطف » .

ـ أتدري انك تحدثني أنا ؟

ـ نعم ، أدري هذا جيدا ، ولاجله لم أحدثك طويلا في الايام الماضية . الحديث اليك يريحني وأنا لا أريد الارتياح .

حدقت الى نظرته فلم تستطع الالتقاء بها ، ودارت ببصرها الى ما حولها . كانت الاشياء هي نفسها ولم تكن نفسها . كلها تتحدث بصمت عميق عميق . على الزجاج بعض الاوراق الزرقاء باقية من ليالي التعتيم مدت يدها تمزقها . سمعت صوته يعتب : « لم تزيلين الاوراق الزرقاء ؟ أحسبت ان القتال انتهى وان هذه هي نهاية القضية ؟ » .

أجابت : ـ لم أعد أدري ما يصح قوله وما يصح عمله ...

فسأل بضحكة لم تدر مداها : ـ هل ستزيلين الصبغ الازرق عن مصابيح السيارة ؟

فلم تجب مع الف رغبة في نفسها الى الحديث . عادت اذناها تمتلئان برعد الاناشيد الوطنية يصلها من الف مذياع وبالبلاغات الحربية المتوالية وبساعات الصمت الطويلة ، فترة منع التجول وخنق الاضواء ، وبشواني انتظار فترة الاخبار التالية ، ثم أحست فجأة بالغثيان يغشى اذنيها وعينيها ، ولم تعد تدري الا انها تريد أن تصفع أحدا .

ويبدو انه كان يحدثها لأن يده كانت تهزها ، فلم تتحرك ولم تجب ولم تصغ ، ولكنها لا تدري كيف طاوعته وسارت معه خارجا . أجلسها بجواره وجلس هو خلف مقود السيارة وبدون ارادة منها مدت كفها تدير المذياع فلمست كفه يدها . تطلعت اليه . كانت شفتاه تتحركان لا تدري منذ متى ولكنها سمعته يقول : « تحدثنا من اذاعاتنا عن القوة والبطش وعن الانتقام ، وخيل لمن يسمعنا

أننا اكثر أهل الارض وحشية ، وكانت اذاعة اسرائيل طوال الوقت تتحدث عن معاملتها للعرب بالرفق وعن التزامها لحقوق الفرد أية كانت قوميته . أما الحقيقة المحجله فهي اننا لم نكن وحوشا . ما قام به اليهود في الاراضي العربيه من بربريه لم يمر عليها التاريخ ولم نعرفها البتريه ولا في شريعه الغاب .

« زعقنا وصرخنا وأعلنا اننا سنبطش ونحرق ونهدم ونغرق ، فأهدرنا قوانا ، وظننا انا بتصريفنا لطاقات الحنق بالكلام قد ادينا واجبنا ، وهذا عكس ما فعله العدو ، فكسب الجوله والراي العالمي العام وخسرنا » .

لم تسمع في صوته قوه وغضبا كالذي سمعته حينذاك وتمثلت لها عيون العرب وهم يطردون من أراضيهم لا يسمح لهم بحمل غير ما عليهم من ثياب ، وعيون الشباب المثقف وهم مصطفون أمام الحائط يحصدهم رشاش العدو ، وعيون المرضى والجرحى في المستشفيات وهي ترى القنابل المحرقة تسقط عليهم وعلما الصليب والهلال الاحمرين يرفرفان مطمئنين ، وعيون المطرودين يحاولون عبور النهر والجسر غير قادر على تحمل هذا العدد الهائل من الناس ، وعيون سكان القدس وهم مجبرون على القتال بسكاكين المطبخ دفاعا عن بيوتهم وشرفهم . لو تجمع حقد هذه العيون كلها وانصب الات قاتله ، صواريخ وقنابل وطائرات ، أما كنا ابدنا العدو وأحرقناه ؟

كانت السياره قد توقفت منذ مدة وهو جالس بجوارها لا تدري أينتظرها لتنزل أم انها هي التي تنتظره. الذي تدريه انها نزلت ولحق هو بها وتوجه كلاهما الى مقهى شبه فارغ ، ولكنها فكرت بالتراجع حين رأت مائدة يحتلها عدد من الشبان أمامهم قناني وكؤوس الخمر مختلطه بضحكاتهم العالية .

سمعته يقول : « هذه حقيقة يجب مواجهتها فلا تهربي » . وجلسا متقابلين وكل منهما ينظر الى كل شيء عدا من أمامه . كانت الصخور تتدحرج على طرفي نهر جاف والاشجار مهملة تحتها كوم من الحشائش تتنفس بينها بعض الزهور اذا استطاعت اختراق الحصار . اكداس من الاوراق اليابسة تغطي الارض الا ما طيرته الريح فتكوم فوق الكوم الاخرى . لم يكن على الارض بادرة من مظاهر الربيع ، ومع هذا فقد ارتاحت للطبيعة الاصيلة غير المزيفة . زاد الجو اصالة حين انتبهت الى صوت نقيق الضفادع . منذ مدة وهي تشتاق سماع صوت صادق ينسيها الضجيج المفتعل . وطربت لما تسمع ... ولكن الصوت الذي تسمعه لم يكن نقيقا . لقد اختلط معه صوت جديد . امتلأت أذناها بثغاء الماعز . كان حولها قطيع وصل قسم منه الى المقهى فاندس في اكوام الحشائش ، وظل الاخر يتسلق الصخور من النهر الجاف. وكان الراعي يلاحق ماعزه يحاول بكل ما في وسع الاصوات المتفاهم عليها بينهما ثنيها عن الوصول الى فوق .

ثم رأت عددا من الرجال يندسون بين الماعز . أما المائده العامرة فقد قل عدد رجالها .

سمعت صوت الراعي يقول بتخاذل : « نعم أنا فلسطيني » . وطرقت كلمة فلسطيني سمعها ، فادارت وجهها لترى رجلا يواجه الراعي الفلسطيني بكل صلافة ويسأله ان يريه هويه اقامته ، والاخر يتهاوى ويرفع ذراعيه يحمي وجهه من صفعة ينتظرها وهو ينفي وجود هويه لديه .

أحست غضب الكرة الارضية يتجمع في رأسها ونهضت مسرعة وفمها مشحون بألف شتيمه . كان الرجل يصرخ : « بأي حق تسطو انت وماعزك على املاك الغير ؟ لقد خربت الحديقة وهشمت الزهور وانت لا تحمل حتى هويه اقامة على هذه الاراضي ! لو أردت لسلمتك الى الشرطة ... خذ ماعزك وامض من هنا » .

اختنقت الشتائم في فمها وشلت قدماها وهي ترى الراعي ينادي ماعزه ويهرع معها هابطا يخترق الصخور والاشواك ، والهلع مرتسم على وجهه المسحوق . وكان الرجل يبتسم ، وهو يتأملهم يهربون .

صرخت فيه : « أية حديقة هذه التي تخاف عليها وتزعم ان الماعز هشم زهورها ، واية حرمة تدعيها انتهكت ؟ اما خجلت من تهديد الفلسطيني بتسليمه للشرطة ونحن كلنا سبب بلائه ؟ » .

ووصل رفيقها فطلب منها العودة الى مكانها قائلا : « لا تساعديهم على اخراج التمثيلية اخراجا ناجحا » .

ذهلت مما تسمع ، وكادت تصرخ : « حتى انت ؟ »

وحين قال : « هل رأيت كل المشاهد ؟ » .

أجابت بغضب : « نعم رأيتها ، رأيتها كلها ، وكان يجب ان أبدأ الكلام قبل الان ، ولا ادري كيف جمدت

هذا الشهر :

بدر شاكر السياب

مختارات من شعره

قدم لها :

ادونيس

منشورات دار الاداب

الكلمات وبصعوبة أذبتها » .

قاطعها : « هل رأيت الجدي الصغير وكيف سرق؟ »

ـ جدي صغير ؟ سرق ؟ كيف ؟ ومن فعل هذا ؟

ارتسمت بسمة حنان على عينيه وهو يقول : « اهدأي واصغي الي . حين كنت تستمعين الى ما يدور بين الرجل والراعي وتستعدين متحمسة للحديث ، كان رجل اخر يسرق جديا صغيرا ويهرب به الى خلف المقهى »

ـ ولم سكت أنت ؟ لم لم تقل شيئا ؟؟

ـ انشغالك بالتمثيلية عن الحقيقة المسروقة أسأك وجودي ورؤيتي وما عملت .

ـ لم لم يصرخ الجدي ؟ لم يستنجد ؟

ـ الاستنجاد وطلب الحق يحتاجان فما طليقا . كان السارق يطبق بيده على فم الجدي .

وقبل أن تستفهم عن بقية التفاصيل وقف رفيقها وصاح بأعلى صوته ينادي صاحب القطيع الذي لم يكن قد ابتعد كثيرا .

ارتفعت أصوات من المائدة العامرة وركض واحد : « انا صاحب المكان ، ماذا تأمر ؟ هل أعجبك الطعام ؟ وكيف تريد القهوة ؟ » .

ـ ارجع الجدي الصغير الى صاحبه .

فتظاهر صاحب المقهى بالغباء وأقسم انه رجل شريف لا يسمح بحدوث أمر كهذا في ملكه ..

اجاب رفيقها : لا أعرف من السارق ، ولكنك أنت المسؤول عما حدث في مقهاك . وها هو صاحب القطيع على وشك الوصول .

فذهب صاحب المقهى وهو يردد عبارات القسم الشتى مؤكدا جهله بالموضوع .

وصل رجل بدوي دلها التساؤل في عينيه انه صاحب الماعز . طلب منه رفيقها ان يذهب الى القسم الخلفي من المقهى لعله يجد الضائع .

وقامت هي علها تساعد البدوي في تفتيشه ، فناداها رفيقها ان تجلس وتترك الامور تعالج بروية مذكرا اياها بنتائج الاندفاع الاهوج .

عاد البدوي ومر بهم محييا . كان الحمل الصغير يتطلع بعينيه الوادعتين واذناه مسترخيتان برضى .

ولحقت بالبدوي تتأمل الجدي في حضن صاحبه. وحين عادت الى مكانها رأت رفيقها واقفا ينتظرها . تأمل ما حوله ونظر الى الافق البعيد قائلا :

ـ هكذا خسرنا الحرب . تمثيلية اليوم الصغيرة نموذج للتمثيلية الكبيرة التي عشناها . هل تريدينني أن نوزع أدوارها مقارنة بأشخاص تمثيلية اليوم ؟

فهزت رأسها نفيا .

قال : ـ أما الفصل التالي الذي أقرأ الرضا عنه في عينيك فدوره آت ونحن في انتظاره على أن نكون صامتين بحكمة وحذر .

ديزي الامير

السفير

الباب

آخر رواية للكاتب الشهير

موريس ويست

رواية الحرب القذرة في فيتنام ، كما يرويها سفير اميركي عين في سايغون وشاهد في اول يوم وصل فيه انتحار راهب بوذي .. وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه (هو الرئيس كونغ) وبين طغمة من الجنرالات المتآمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية .. انه الصراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث يهجر مهنته الدبلوماسية ليلتمس الخلاص الروحي بالقرب من راهب ياباني ..

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه فئة من الشخصيات المختلفة الغامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

صدر هذا الشهر